Buḥūth Online
مجلة محكمة تصدر إلكترونيا

وحدة النشر العلمي

بحوث

مجلة علمية محكمة

العلوم الإنسانية والإجتماعية

المجلد 2 العدد الخامس- مايو 2022

ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

رئيس التحرير
أ.د/ أميرة أحمد يوسف
أستاذ النحو والصرف-قسم اللغة العربية
عميد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس

نائب رئيس التحرير
أ.د/ حنان محمد الشاعر
أستاذ تكنولوجيا التعليم-قسم تكنولوجيا التعليم والمعلومات
وكيل كلية البنات للدراسات العليا والبحوث
جامعة عين شمس

مدير التحرير
د. أسماء كمال عبدالوهاب عابدين
مدرس علم النفس
كلية البنات جامعة عين شمس

مسئول الرفع الإلكتروني:
م.م/ نجوى عزام أحمد فهمي
مدرس مساعد تكنولوجيا التعليم

سكرتارية التحرير:
م.م/ علياء حجازي
مدرس مساعد علم الإجتماع

مسئول التنسيق:
م/ دعاء فرج غريب عبد الباقي
معيدة تكنولوجيا التعليم

مجلة "بحوث" دورية علمية محكمة، تصدر عن كلية البنات للآداب والعلوم والتربية بجامعة عين شمس حيث تعنى بنشر الإنتاج العلمي المتميز للباحثين.

مجالات النشر: اللغات وآدابها (اللغة العربية – اللغة الإنجليزية – اللغة الفرنسية-اللغة الألمانية-اللغات الشرقية) العلوم الاجتماعية والإنسانية (علم الاجتماع – علم النفس – الفلسفة – التاريخ – الجغرافيا).
العلوم التربوية (أصول التربية – المناهج وطرق التدريس-علم النفس التعليمي – تكنولوجيا التعليم –تربية الطفل)

التواصل عبر الإيميل الرسمي للمجلة:
buhuth.journals@women.asu.edu.eg

يتم استقبال الأبحاث الجديدة عبر الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://buhuth.journals.ekb.eg/

- ❖ حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات التربوية.
- ❖ حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات الأدبية.

تم فهرسة المجلة وتصنيفها في:
دار المنظومة– شمعة

بني زيري
في إفريقية بعد خروج الفاطميين بين الخضوع والتمرد
(443 - 543هـ / 1052 – 1148م)

شيماء محمد طارق السيد أبو المعاطى
باحثة ماجستير- قسم التاريخ
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس
Shaimaatarek67@gmail.com

أ.د. آمال محمد حسن
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية البنات- جامعة عين شمس
amalhassankhalil@gmail.com

د. صفي علي محمد
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية البنات – جامعة عين شمس

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الفاطميين والزيريين، والتي نشأت منذ مساندة الزيريون للفاطميين في حروبهم ضد أعدائهم، ولذلك وقع اختيار الخليفة الفاطمي "المعز لدين الله" على "بلكين ابن زيري" ليكون نائبًا عنه في حكم المغرب حينما قرر الانتقال إلى مصر، ونجح بلكين في إرساء قواعد إمارته، وأراد أن يثبت استمرار تبعيته للخلافة في مصر عن طريق الدعاء للخلفاء الفاطميين على المنابر، والخروج للحروب باسمهم، وإرسال السفارات والهدايا للخليفة، غير أن نجاح الزيريون في القضاء على خصومهم، وانشغال الخلافة الفاطمية بالأوضاع السياسية في الشام، جعلهم يتطلعون إلى الإستقلال، ما أدى إلى سوء العلاقة بينهما؛ فكلما أحس الفاطميون بخطوات جدية للاستقلال من جهة الزيريون، نجدهم يردون على هذا بإثارة القبائل المعادية للزيريين في إفريقية ضدهم، حتى أعلن الأمير "المعز بن باديس" انفصاله النهائي عن الخلافة الفاطمية في سنة 440هـ / 1048م، فغضب الخليفة الفاطمي لذلك، وقرر إرسال القبائل العربية من بني هلال وبني سليم إلى إفريقية لتأديب المعز وإرجاع بلاد المغرب إلى الخلافة، فدخلوا إفريقية ودارت معركة حيدران بينهم وبين المعز، حيث انتصر العرب، ونتج عنها تخريب المدن الإفريقية وانقسامها إلى طوائف، وانتقال عاصمة الزيريون من القيروان إلى المهدية، وواجهوا مظاهر الفوضى والخراب التي أحدثتها القبائل العربية في إفريقية حتى سقوط عاصمة الدولة الزيرية في أيدي النورمان 543هـ / 1148م.

الكلمات الدالة: بني زيري ، الفاطميون، إفريقية، حيدران.

إشكاليات البحث:

تحاول الدراسة الإجابة عن عدة إشكاليات أهمها:

- ما طبيعة العلاقة بين الخلافة الفاطمية والدولة الزيرية .
- ما سبب تحول تلك العلاقة للعداء.
- ما مدى تأثير دخول القبائل الهلالية إفريقية.

الدراسات السابقة:

- الحياة الإجتماعية والثقافية فى برقة وطرابلس، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، للطالب صلاح عثمان أحمد، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ الإسلامي، 2003م

مقدمة

بعد انتقال المعز للدين الله الفاطمي ورحيل الفاطميون إلى مصر وتولية بلكين بن زيرى إمارة إفريقية، ظلت العلاقات بين الدولتين قائمة، إلا أنها لم تظل على وتيرة واحدة؛ فتارة نجد الزيريون يظهرون الولاء التام والتبعية للفاطميين؛ من حيث الدعاء للفاطميين على المنابر وخوض الحروب ضد زناتة باسم الخلافة الفاطمية وتبادل السفارات لكي يزيد الود بين الطرفين، وتارة أخرى نجد الزيريون يظهروا العداء للخلافة الفاطمية في مصر بقطع الخطبة، ولذلك يعمل الفاطميون على تقوية بعض العناصر وإثارة القبائل على الزيريين وإرسال العرب للتقليل من نفوذ الزيريين في إفريقية.

العلاقات الودية:

خطب الزيريون للفاطميين على منابر المساجد منذ قيام الإمارة الزيرية سنة 361هـ / 971م، حتى أمر المعز بن باديس سنة 440هـ / 1048م بقطع الخطبة باسم الفاطميين على المنابر والاستقلال بالإمارة (الدباغ، 1978م، ج3، ص196-197).

وقد ساند الزيريون الفاطميين في حروبهم ضد زناتة في عهد الخليفة القائم بأمر الله وابنه المنصور ابن القائم؛ في القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد قبيل إعلان قيام الإمارة (المقريزي، 1996م، ج1، ص85 ؛ القرشي، 1984م، ج6، ص185 ؛ ابن مقديش، 1988م، مج1، ص362)، وبعدها عمل الفاطميون وبمساعدة الزيريون على تقليص النفوذ الزناتي في المغرب الأقصى من خلال حملات كان يشنها زيري بن مناد، فنجح في أسر أحد زعماء زناتة في المغرب الأقصى وهو سعيد بن خز، ونجح من خلال حملة على فاس في المغرب الأقصى مع جوهر الصقلي من إعادة النفوذ الفاطمي عليه (إدريس، 1992، ج1، ص59)، وحتى عندما تمرد جعفر بن حمدون شقيق الخليفة الفاطمي في الرضاع وانضم إلى زناتة واتحد مع الدولة الأموية في الأندلس تصدى له زيري، وكان ذلك سبباً في مقتل زيري عام 360هـ / 970م (ابن مقديش، 1988م، مج1، ص362 ؛ الدشراوي، 1994م، ص353).

ومع ذلك فبعد رحيل الفاطميين لم يتوقف الزيريون عن الحرب ضد زناتة باسم الخلافة الفاطمية فحارب بلكين بن زيرى زناتة في بداية خلافة العزيز بالله بن المعز (365 -386هـ / 975 – 966م) (ابن حماد، د.ت، ص93)، وفي سنة 367هـ / 977م أراد مجموعة من الحجازين خلع طاعة الفاطميين، فأرسل بلكين أخاه باديس بن زيرى أميراً للحج فى هذا العام وبعث معه حملة عسكرية فنجح باديس في التصدي لهؤلاء المعارضين وإقامة الخطبة للفاطميين فى مكة (ابن الآثير، 2003م، ج7، ص380 ؛ أبي الفدا، د.ت، ج2، ص116 ؛ المقريزي،1991م، ج2، ص385).

عندما اختلفت الخلافة الفاطمية مع بنو قرة قام الخليفة الفاطمي بنفيهم إلى الاسكندرية[1]، بعدها رحلوا إلى برقة وبدأوا يغيروا على القوافل التي تسير من برقة إلى القاهرة، ففى سنة 402هـ / 1011م أخذوا الهدية التي أرسلها الأمير باديس إلى القاهرة (المقريزي، 1996، ج2، ص92)، ولعدم قدرة الخلافة الفاطمية السيطرة على هؤلاء بسبب سوء الأوضاع في الشام، أوكل الخليفة الفاطمي الأمر إلى الأمير باديس، وأرسل الخليفة الحاكم بأمر الله مع عبد العزيز بن كُدّيْنَةِ سنة 403هـ / 1012م هدية وسجل إلى باديس بضم برقة إلى الإمارة الزيرية (ابن عذارى، 1983م، ج1، ص259 ؛ المقريزي، 1996م، ج2، ص99 ؛ عثمان أحمد، 2003م، ص80)، فعين باديس "حميد بن تموصلت" والي على برقة في عام 404هـ/ 1013م (المقريزي، 1996م، ج2، ص104)، إلا أن بنو قرة لم يتوقفوا عن إثارة القلاقل بقيادة زعيمهم "مختار ابن قاسم"، فنجحوا في طرد والي المدينة، واعتراض القوافل بين الفاطميين والزيريين (المقريزي، 1996م، ج2، ص110 – 111).

لم تقتصر العلاقات بين الخلافة الفاطمية والإمارة الزيرية على الخطبة ومناصرة الفاطميين في حروبهم فقط، بل حرص كلاً من الطرفين على تبادل السفارات والهدايا، من بداية تولية "بلكين" حتى قطع "المعز بن باديس" الخطبة عام 440هـ / 1048م، وكانت هذه السفارات دليل التوافق بين الطرفين، وإن كانت هذه السفارات والهدايا كان لها أسبابها؛ مثل الهدية التي أرسلها بلكين عام 367هـ/ 977م ويطلب من الخليفة العزيز بالله ضم مدينة طرابلس وسرت وأجدابية إلى إمارته، فوافق الخليفة على طلبه (النويري، د.ت، ج24، ص95 ؛ ابن خلدون، 2000م، ج ، ص206)، والهدية التي أرسلها المنصور بن بلكين التي يبالغ كلاً من ابن عذاري والنويري في وصفها حيث يذكرا أنها بلغت ألف ألف دينار؛ لكي يوافق الخليفة العزيز بالله عام 382هـ/ 992م على أن يكون "باديس بن المنصور" ولياً لعهد أبيه وأرسل الخليفة الفاطمي سجلاً بذلك فسر المنصور (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص 240 ؛ النويري، د.ت، ج24، ص98 ؛ المسعودي، 2013م، ص145)، وأرسل بعدها هدية أخرى للخليفة يشكره على هديته مع "جعفر بن حبيب" (المقريزي: 1991م، ج3، ص30).

وفي سنة 386هـ/ 996م أرسل "باديس بن المنصور" مع أبا القاسم الرقيق الكاتب المعروف بالقيرواني؛ لتهنئة الخليفة الجديد الحاكم بأمر الله بتوليه الخلافة والتأكيد على ترابط العلاقة بين الدولتين

([1]) يرجع سبب الخلاف أن الخليفة الحاكم بأمر الله استعان ببني قرة - عرب كانوا يعيشون في منطقة البحيرة بمصر، أن يستعيد مدينة طرابلس بعد أن سيطر عليها فلفل بن خزرون الزناتى، ولما استقرت الأمور في طرابلس أمر الخليفة الفاطمي يحيى بن علي بن حمدن الأندلسي أن يرجع إلى القاهرة ومعه بني قره فخرجوا معه ولكن خذلوه ورجعوا إلى برقة، فبعث الخليفة الفاطمي يستدعيهم مرة أخرى إلى الاسكندرية فاستجابت طائفة ولكن قتلهم الحاكم بأمر الله.
انظر: (المقريزي، 1996م، ج1، ص51 – 52).

(رمضان، 2013م، ص107)، ومن الهدايا التي يبرز أهميتها المؤرخون هدية باديس سنة 402هـ / 1011م التي أرسلها الحاكم بأمر الله ومعها سجل إضافة برقة إلى أعماله، ولذلك نجد "باديس" في السنة التالية يوجه هدية ثمينة إلى الحاكم، وشيعها من المهدية وركب البحر معها "يعلى بن فرج" (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص 259 ؛ إسماعيل العربي، 1984م، ص134)، واستمر تبادل الهدايا والسفارات حتى سنة 420هـ/ 1029م، حيث جهز "المعز بن باديس" هدية يذكر المقريزى تفاصيلها، وأرسلها إلى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، وأعجب الخليفة بهدية المعز فأرسل هو الأخر هدية له (المقريزي، 1996م، ج2، ص 177 – 178).

وقد أراد الزيرون أن يثبتوا للفاطميين استمرار تبعيتهم للخلافة في مصر، عن طريق الدعاء للخلفاء الفاطميين على المنابر، والحروب باسم الخلافة الفاطمية في المغرب شرقاً وغرباً، وإرسال السفارات والهدايا للخلافة للتأكيد على ولاء الزيريين، ولكن نجاح الزيريون في القضاء على خصومهم، وانشغال الخلافة الفاطمية في الأوضاع السياسية في الشام، وأيضاً تطلع الأمراء الزيريون في الإستقلال، حول العلاقات بين الخلافة الفاطمية والإمارة الزيرية إلى علاقة عداء؛ فكلما أحست الخلافة الفاطمية أن الأمراء الزيريون بدأوا في أخذ خطوات نحو الاستقلال؛ ردت على هذه المحاولات إما عن طريق إثارة القبائل المعادية للزيريين فى إفريقية، أو إرسال القبائل الهلالية لمحاربة بني زيري واسترجاع الإمارة مرة ثانية تحت تبعيتها، فهل ستنجح محاولات الخلافة في هذا؟ وكيف كانت نتيجتها على الإمارة الزيرية؟

– **العلاقات العدائية:**

سادت العلاقات الودية بين الدولة الفاطمية والدولة الزيرية في إفريقية في عهد بلكين بن زيرى، ولكن فى الوقت ذاته بدأ الزيريون يفكروا في الإستقلال منذ إعلان قيام الدولة فلما تولى المنصور بن بلكين جاءت إليه الوفود لتهنئته بالإمارة سنة 373هـ/ 984م (بوزورث، 1995م، ص51)، فقال لهم: "إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهراً، وأنا لا أخذهم إلا بالإحسان، وما أنا في عهد هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب؛ لأني ورثته عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير" (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص240 ؛ ابن الآثير، 2003م، ج7، ص415).

وبهذا الكلام يستنكر المنصور أن يولى ويعزل بكتاب وأن بلاد إفريقية والمغرب ملك لآبائه وأجداده، فكان المنصور هو أول من بدأ في تحقيق استقلال المغرب عن الخلافة الفاطمية فيرى د.الحبيب الجنحانى أن كثير من حكام الإمارات في المغرب لم يكن مقتنع بضرورة تبعية إفريقية سياسياً إلى المشرق سواء أكان حكامه أمويين أو عباسيين أو فاطميين (الجنحاني، 1968م، ص 100 – 101).

وقد شعر الخليفة الفاطمي "العزيز بالله" بالغضب من قول المنصور، وعرف ما في نفس المنصور من نوايا الانفصال بعد أن شعر بالقوة واشتداد بأسه وأصبح نداً للخليفة (العبادي، د.ت، ص317)، فرآى أن يضعف قوته هذه بإثارة قبائل المغرب ضده وخاصة قبيلة كتامة، فأرسل سنة 376هـ / 986م داعياً يُدعى "أبو الفهم الخرساني" إلى الكتاميين يدعوهم للدخول في طاعته (سرور، 1973م، ص225)، فأجابوه على عرضه والتفوا حوله وكون منهم جيشاً وزودوه بالسلاح، فعظم أمره لدرجة أنه صنع بنود وضرب السكة (ابن عذارى، ، ج1، ص241 ؛ سالم، ، ص 654).

وعلى ذلك فقد غضب "المنصور" من نشاط "أبي الفهم الخرساني"، فكتب إلى الخليفة الفاطمي "العزيز بالله" يبلغه بأمر هذا الداعي فأرسل إليه "العزيز بالله" رسولين يأمره بعدم التعرض "لأبي الفهم" (العبادي، د.ت، ص318)، ففهم "المنصور" مراد الخليفة فاحتجز الرسولين ولم يلق بالاً لرسالة الخليفة، وخرج على رأس جيش إلى مدينة سطيف مركز نفوذ أبا الفهم، وهناك اقتتلوا قتالاً شديداً وانتصر "المنصور" وهرب "أبي الفهم" إلى جبل وعر، فقبض عليه أحد أتباع "المنصور"، وقتله المنصور عام 378هـ / 988م (ابن الآثير، 2003م، ج7، ص431 ؛ سرور، 1973م، ص229).

لم يرض الخليفة "العزيز بالله" بهزيمة "أبي الفهم الخرساني" فعاد يعمل على إثارة كتامة مرة أخرى عن طريق رجل يُدعى "أبو الفرج الخرساني" سنة 379هـ / 989م، وادعى أن أباه من ولد الخليفة "المعز لدين لله الفاطمي"، وعمل ما عمله "أبي الفهم الخرساني" اتخذ البنود وضرب السكة، فدخل في حروب كثيرة مع المنصور بمدينة ميلة وانتصر فيها أبي الفرج، فخرج المنصور بنفسه وتمكن من هزيمته وقتله (العبادي، د.ت، ص318 – 319).

ولا شك أن هاتين الثورتين أضعفتا من قوة كتامة، ولكن لماذا أرادت كتامة ضعف صنهاجة؟ .. الحقيقة أن كتامة كانت تحقد على صنهاجة لأنها تتصدر وبقوة رئاسة الوضع السياسي فى المغرب، ولهذا استغل الخليفة الفاطمي هذه الغيرة القبلية عند كتامة وصنهاجة، وأثار كتامة عن طريق هذان الرجلان، ولكن انتصار صنهاجة مكنها من السيطرة على جميع النصف الشرقي للمغرب.

ظلت العلاقات بين الدولتين في ظاهرها علاقات ود ولكن في حقيقتها علاقة حقد وعداء وظهر هذا عندما تولى "باديس بن المنصور" بعد وفاة والده، وولاية "الحاكم بأمر الله" بعد وفاة والده في نفس السنة 386هـ (ابن حماد، د.ت، ص 94 ؛ بوزورث، 1995م، ص 51)، وكانت العلاقة بين الطرفين علاقة عداء لاتجاه باديس نفس سياسة أبيه نحو الاستقلال عن الدولة الفاطمية، فلم يرق هذا للخليفة الفاطمي وبدأ يدبر لباديس المؤامرات متبعاً هو الآخر نفس سياسة والده.

حانت الفرصة للخليفة الفاطمي عام 390هـ / 999م عندما حدث خلاف على ولاية طرابلس الغرب، إذ أرسل والي طرابلس "عوصلة بن بكار" إلى الخليفة الفاطمي يطلب منه أن يرسل إليه من يستلم البلد من يده، فأمر الخليفة واليه على برقة "يانس الصقلي" الذهاب إلى طرابلس والاستيلاء عليها، ولما كانت طرابلس تابعه لباديس فلم يرض بذلك، وأرسل مع قائده "جعفر بن حبيب" يخيره بين ثلاث: **"إما إن يبعث السجل إن كان بين يديه، وإما القدوم على باديس ليفاوضه، وإما المناجزة بالحرب"**، وبعدها تجهز جيش باديس بقيادة جعفر ودارت معارك كثيرة انتهت بمقتل يانس(التجانى، 1981م، ص182).

لم تكن هذه المحاولة الأخيرة للحاكم بأمر الله لإضعاف سلطة باديس، بل انتهز فرصة حروب باديس مع زناتة بقيادة "فلفل بن سعيد" في طرابلس، واضطراب الأوضاع في المنطقة بين زناتة وصنهاجة، وأرسل الحاكم بأمر الله "يحيى بن علي بن حمدون الأندلسي" عام 393هـ / 1002م، والذي انضم إلى "فلفل ابن سعيد" واتجهوا نحو قابس فحاصروها، ولكن لم يظفروا منها بشيء لقوة أسوارها، فتراجعوا نحو طرابلس خوفاً من الاصطدام مع جيش باديس، ولاحظ "يحيى بن علي" عجزه عن محاربة باديس فرجع إلى مصر(ابن الأثير، 2003م، ج8، ص25 ؛ خضيري أحمد، د.ت، ص48-49)، أما

"فلفل بن سعيد" فقد ظل مسيطراً على طرابلس، ونجح بمساعدة الخلافة الفاطمية له من تأسيس دويلة عُرفت باسم بني خزرون (391-540هـ/ 1001-1145م) (الانصاري، 1994م، ص226-227).

وبعد وفاة "فلفل" تولى أخيه "وروا"، وزحف إليه باديس في جيش كبير ودخل طرابلس، فجاءته رسل "وروا" تطلب منه الأمان فوافق باديس على الصلح، وعاد إلى المنصورية مُظفراً (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص258 ؛ سرور، 1973م، ص226-227)، وهكذا نجح باديس في السيطرة على جميع المؤمرات التي كانت ضده، أما بالنسبة للخلافة الفاطمية لم تجد بداً من العودة إلى سياسة التودد، فأرسل الحاكم بأمر الله هدية إلى باديس عام 403هـ /1012م كما أمر بإضافة برقة إلى أعماله.

في الحقيقة تغير وضع العلاقة بين الدولتين منذ تولى "المعز بن باديس"، لأن الخلافة الفاطمية كانت تعمل كل ما في استطاعتها لتقليل النفوذ الزيري في إفريقية، وكان المعز يحارب كل ما لديه من قوة ليستقل بإمارته؛ ففي البداية عام 406هـ/ 1015م ثار السُنة على الشيعة في مدينة القيروان في حادثة "درب المعلي" الحي الذي يسكنه الشيعة (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص268)، ولكن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله غض نظره عن ما فعله المعز، وأرسل إليه في أواخر سنة 407هـ / 1016م سجل خاطبه بشرف الدولة.

وفي سنة 411هـ /1020م أرسل الحاكم بأمر الله مع أبو القاسم بن يزيد سيف مُكلل بنفيس الجوهر، وخلعة من لباسه لم ير مثلها، ثم قدم سنة 414هـ/ 1023م رسول من قبل الخليفة "الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي" بتشريف لـ "شرف الدولة المعز"، وزاده لقباً فسماه "شرف الدولة وعضدها" (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص269، 271 ؛ سالم، د.ت، ص573)، كل ذلك يعبر عن رغبة الخلفاء الفاطميين في تحسين العلاقات بين الدولتين، لانشغال الخلافة الفاطمية بسوء الأوضاع السياسية للخلافة في مصر؛ لذلك رأت أن سياسة التودد ربما تجدي نفعاً بعد إثارة القلاقل في برقة وطرابلس، ولكن لم يخف نزعة الاستقلال والتخلص من المذهب الشيعي الإسماعيلي عند المعز، لذلك في سنة 440هـ/ 1048م نجد "المعز بن باديس" يعلن عودته إلى المذهب السُني المالكي، وترتب على ذلك اتصال "المعز بن باديس" بالخليفة العباسي.

غير أن المصادر قد اختلفت في تحديد تاريخ انفصال "المعز بن باديس" عن الخلافة الفاطمية نهائياً، فابن عذاري يشير إلى أن ذلك كان في سنة 433هـ/1041م (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص275)، بينما يذكر ابن الأثير والنويري وابن كثير أن عام 435هـ /1043م هو إعلان الانفصال (ابن الأثير، 2003م، ج8، ص265 ؛ النويري، د.ت، ج24، ص116 ؛ ابن كثير، 1998م، ج15، ص690)، أما المقريزي وابن تغري بردي فيذكرا أن الانفصال حدث في عام 443هـ/ 1051م (ابن تغري بردي، د.ت، ج5، ص50-51 ؛ المقريزي، 1996م، ج2، ص214).

وبالإضافة إلى هذا فلم يتفق المؤرخون أيضًا حول تحديد تاريخ الانفصال، فيرجح "الدكتور العبادي" أن الانفصال التام بين الدولة الزيرية والخلافة الفاطمية حدث في سنة 443هـ/ 1051م، استناداً على ما ذكره المقريزي وعلى أن وزارة اليازوري في مصر كانت سنة 442هـ/ 1050م، فكان خلافه مع المعز هو السبب الرئيسي في الانفصال (العبادي، 1973م، ص323)، بينما الدكتور "السيد عبد العزيز سالم" يرجح رأي ابن خلدون أن الانفصال يرجع إلى سنة 440هـ/ 1048م، لوجود خلاف بين "المعز بن

باديس" وبين وزير المستنصر بالله "أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي" المتوفي سنة 436هـ/ 1044م، وكان قد بلغه أن "المعز بن باديس" يتودد إلى الخليفة العباسي "القائم بأمر الله"، وما يفعله المعز من اضطهاد الشيعة والدعوة للمذهب المالكي، فأرسل إليه "محذراً وهو يراجعه بالتعريض بخلفائه والقدح فيهم" (ابن خلدون،2000، ج6، ص211 ؛ سالم، د.ت، ص574).

وجد المعز الفرصة المواتية لإعلان الانفصال وقطع خطبة "المستنصر الفاطمي"، وإقامة الخطبة للخليفة العباسي "القائم بأمر الله" أمير المؤمنين، وقد أمر "المعز بن باديس" خطباء المساجد بعد إعلان الانفصال بلعن الشيعة، وفي عيد الأضحى من سنة 440هـ / 1048م، سب خطيب جامع القيروان بني عُبيد، فقال الخطيب "اللهم العن الفسقة والناقضين لعهدك والمتبعين غير سبيلك المُبدلين لكتابك، اللهم العنهم لعناً وبيلاً واخزهم خزياً عريضاً طويلاً" (ابن عذاري، 1983، ج1، ص227)، وبعد ذلك سك عملة جديدة ووضع عليها عبارات ونقوش غير التي كانت موجودة على العملة الفاطمية، ونادى منادٍ بأمر السلطان أنه من تصرف بمال عليه أسماء بني عُبيد نالته العقوبة الشديدة (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص279 ؛ عثمان، 2000م، ص39)، وفي شعبان سنة 441هـ /1049م أمر المعز بمحو اسم الخليفة الفاطمي من على الرايات والطرز وحرق الأعلام الخضراء وهدم الدار الاسماعيلية (المقريزي، 1996م، ج2، ص216 ؛ سرور، 1973م، ص228).

وفي جمادي الثانية سنة 443هـ/ 1051م أمر المعز باحضار جماعة من الصباغين وأخرج لهم ثياباً بيضاً من فندق الكتان وأمرهم أن يصبغوها سوداً، وجمع الخياطين فقطعوها أثواباً ليكتسي لباس السواد بالقيروان، وفي هذه السنة وصل إلى القيروان مكاتبة من الأمير جبارة بن مختار العربي من برقة بالسمع والطاعة للمعز بن باديس، وأخبره أنه وأهل برقة قد حرقوا المنابر التي كان يُدعي عليها للعبيدية، وأحرقوا راياتهم ودعوا للقائم بأمر الله العباسي (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص280 ؛ عثمان، 2000م، ص39-40).

وعلى ما سبق فقد ساءت العلاقات تماماً بين مصر وإفريقية، وأرسل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله إلى المعز يذكره أبائه قائلاً: **"هلا اقتفيت آثار أبائك في الطاعة والولاء"**، فرد المعز قائلاً: **"إن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموهم بأسيافهم"(ابن خلكان، 1977م، ج5، ص243 ؛ حمادة، 1985م، ص151)**، فكان رد "المعز بن باديس" على الخليفة الفاطمي رد قاطع بعدم العودة إلى التبعية، وأن المعز أصبح يرى نفسه نداً للخلافة الفاطمية.

غضب الخليفة "المستنصر بالله" من خروج "المعز بن باديس" عليه وضياع جزء من خلافته وهي المغرب، وكان الخليفة في موقف صعب لأنه لا يستطيع اهمال أمر المغرب فتضيع من يده، ولا هو بقادر على إرسال جيشاً إلى المعز لمحاربته بسبب هزيمة جيشه في الشام، وكذلك لسوء الأوضاع الاقتصادية في مصر بسبب انخفاض منسوب نهر النيل (المقريزي، 2007م، ص92-93)، فاجتمع مع مستشاريه للتشاور في أمر المغرب، وهنا جاءت الفكرة لوزيره "الحسن بن علي اليازوري"[2] للانتقام

(2) هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري، أول قاضي جمع بين القضاء والوزارة، وظل بها حتى عُزل سنة 450هـ. انظر: (ابن الملقن، 1996م، ص172).

من "المعز بن باديس"، وهي إرسال القبائل العربية من بني هلال لتأديب المعز وإرجاع بلاد المغرب للخلافة الفاطمية (العسقلاني، 1998م، ص132)، وبدأ يُرغب الخليفة في إبعاد بني هلال عن مصر، ليستعيد الأمن على البلاد، فسمح له الخليفة بذلك.

وبدأ اليازوري بالإرسال إلى القبائل العربية الموجودة بمصر بني هلال وبني سليم[3]، وعمل على إصلاح الخلافات التي كانت بينهم، وعرض عليهم الرحيل إلى برقة، ولكي يُمنيهم أعطى لكل فرد من العامة ديناراً (التجاني، 1981م، ص20 ؛ عبد الرحمن، 1992م، ص114)، ولكي يغري زعمائهم قال لهم الخليفة المستنصر: **"إني أعطيتكم المغرب ومُلك المعز بن بلكين العبد الآبق، فلا تفتقرون"**، فعقد لـ "موسى ابن يحيى المرداسي" على القيروان وباجة، ولـ "حسن بن سرحان" على قسنطينة، وولى بني زغبة على طرابلس وقابس (رجب، 2009، ص53)، وبعدها كتب إلى المعز: **"أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولاً فحولاً، وأرسلنا عليها رجالاً، وكهولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"**(ابن خلدون، 2000م، ج6، ص20 ؛ كحيلة، 1997م، ص91)، وبذلك أعطى اليازوري للعرب الإذن بالخروج من مصر، حيث لقى استجابة سريعة من قبائل العرب التي أرادت الهروب من سوء الأوضاع الاقتصادية بمصر.

وقد رحلت القبائل العربية من مصر متجهين إلى برقة، فنزلوا عند إخوانهم من بني قرة الذين كانوا يقيمون في منطقة الجبل الأخضر منذ عام 402هـ/ 1011م، وبسبب سوء معاملة المعز لهم، فقد استقبلوا إخوانهم الذين أتوا جماعات حتى اكتملت غزوتهم، ودخلوا برقة التي وجدوها خالية من السكان، لأن المعز قتل كثير من زناتة بها (النويري، د.ت، ج24، ص117 ؛ إبراهيم، 1996م، ص50)، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بشرقي الصعيد يرغبونهم في البلاد، وانسابت العرب على أرض إفريقية كالجراد المنتشر، وإن كان التعبير فيه شئ من المبالغة من المؤرخين، ولكنه جاء ليوضح سرعة دخول العرب إلى إفريقية ، فحصلت بنو سليم على شرقي إفريقية، وبنو هلال على غربها، وخربوا المدينة الحمراء وأجدابية وسرت وأسمرا (المقريزي، 1996م، ج2، ص217 ؛ سالم، د.ت، ص582).

- **موقعة حيدران:**

بعث المعز إلى بني حماد يستنجد بهم، فأرسل إليه "القائد بن حماد" كتيبة من ألف فارس، واستنفر المعز قبيلة زناتة فقدم إليه "المستنصر بن خزرون المغراوي" في ألف فارس من زناتة، وعزم المعز على محاربة العرب قبل أن يزيد خطرهم، فخرج على رأس جيش كبير يبلغ ثلاثين ألفاً مكون من صنهاجة وزناتة وعبيد وبقايا عرب الفتح، ودارت المعركة بين الطرفين، وانتهت بهزيمة "المعز بن باديس"، فأرسل إليهم وفود بمكاتبات وشروط صلح، وأرسلوا شيوخاً منهم ليطمئن ابن باديس (ابن خلدون، 2000م، ج6، ص20-21 ؛ عبد الخالق، 1981م، ص60)، ولكن ما كانت إلا خدعة من العرب فدب الفساد في كل جهة، وفاجئوا المعز والعامة وهم في صلاة عيد النحر (ابن خلدون، 2000م، ج4، ص80).

دارت المعركة الكبرى بين الطرفين في ذي الحجة سنة 443هـ/ 1051م بالقرب من حيدران من جهة قابس، ولكن "عرب الفتح" الذين كانوا ضمن جيش المعز انضموا لإخوانهم وانحازوا في صفوف

(3) هي قبائل عربية من مضر كانت تقطن بلاد الحجاز، ثم انتقلت إلى الشام ثم مصر وبعد ذلك إفريقية،ومن بطونها رياح وزغبة وجشم والأثبج. انظر: (ابن حزم، 1983م، ص275 ؛ القلقشندي، 1958م، ص249، 253).

الهلالية، وبالنسبة لزناتة وصنهاجة ففروا من المعركة فانهزم المعز هزيمة نكراء، وظل المعز صامد أمام العرب إلى أن وصلت رماح العرب إليه، وقُتل من عبيده عدد كبير (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص290 ؛ ابن خلدون، 2000م، ج6، ص21 ؛ عبد الخالق، 1981م، ص61), فر المعز إلى القيروان، ووصل العرب إلى نواحي القيروان يدمرون عمرانها ويفسدون مزارعها، ففر سكان هذه المناطق إلى القيروان يطلبون الحماية من المعز، فأمر المعز بنقل أهل مدينة صبرة إلى مدينة القيروان، وأن ينتقل جميع عسكره من الصنهاجيين إلى صبرة لتكون خطاً عسكرياً لمواجهة الأعداء (سالم، 1981م، ص670)، ووصلت الجيوش العربية إلى القيروان فحاصرتها، وخرج بعض الأهالي من القيروان عند باب تونس لقتال العرب خارج باب تونس، فحمل عليهم فرسان العرب وتمكنوا منهم بالسيوف وأبادوهم (ابن عذاري، 1977م، ج1، ص292).

ويبدو أن انتصارات العرب ونجاحهم في مهمتهم كان له صداه لدى الخلافة الفاطمية في القارة، حيث رحبت القاهرة بتلك النتائج الطيبة التي حققها الهلاليون لإفريقية، وكانت المراسلات لا تنقطع بين الهلاليين في إفريقية وبين الخلافة الفاطمية يخبرونهم بما حققوا من انتصارات، وبالخسائر والهزائم التي حلت على المعز (حسن، 1977م، مج 24، ص132)، كما وصل إلى القاهرة بعض الذخائر والتحف التى انتهبها العرب من قصور "المعز بن باديس" وعدد من الأسلحة وآلات القتال، وكان يومًا مشهوداً اجتمع الناس لمشاهدتها كرمز لانتصار الخلافة الفاطمية على أعدائها وكعبرة لمن تحدثه نفسه بمعادتها والخروج عليها (ابن الصيرفي، 1923م، ص39 ؛ المقريزي، 1996م، ج2 ص 215).

بعد استيلاء عرب سليم وهلال على مدينة القيروان اقتصر ملك الدولة الصنهاجية في إفريقية على الساحل لاستيلاء العرب على المدن الداخلية، وانقسمت بلاد المغرب إلى طوائف - كما حدث في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية - فأقامت سليم شرق البلاد وأقامت هلال في الغرب، واتسع نطاق انتشار بنو هلال فسيطر بني ذباب من سليم على المناطق الممتدة من داخل قابس إلى الغرب "طرابلس"، واستقرت بطون بني عوف بين قابس وبونة، واستقل ابن خرسان بتونس سنة 458هـ /1065م (إدريس، 1992م، ج1، ص266 ؛ سالم، 1981م، ص673)، وظلت إفريقية تموج في هذه الاضطرابات حتى سقوط المهدية عاصمة الدولة الزيرية في أيدي النورمان سنة 543هـ/ 1148م.

الخاتمة:

من خلال ما سبق فيمكننا القول: أن هذه الدراسة عبارة عن رؤية تاريخية للتعرف من خلالها على تأثير الخلافة الفاطمية في مصر على سقوط الإمارة الزيرية في إفريقية، حيث كانت الإمارة الزيرية تابعة للخلافة في مصر، ولكن عندما تطلع الزيريون إلى الاستقلال، سارعت الخلافة في مصر من أجل استرجاع هذا الجزء من ممتلكاتها بإرسال القبائل العربية التي نجحت في إحداث الفوضى والاضطرابات في إفريقية حتى سقطت الدولة الزيرية في أيدى النورمان.

المراجع:

إبراهيم، إبراهيم إسحاق، (1996م)، *الهجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال أفريقيا وبلاد السودان*، ط 1، الرياض، السعودية، مركز فيصل للبحوث والدراسات.

ابن الأثير، عز الدين الجزري، (1424هـ/ 2003م)، *الكامل في التاريخ*، تحقيق: د. محمد يوسف الدقاق، ط4، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

أحمد، حسن خضيري، (د.ت)، *علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب*، القاهرة، مصر، مكتبة مدبولي.

أحمد، صلاح عثمان، (2003م)، الحياة الإجتماعية والثقافية فى برقة وطرابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر.

إدريس، الهادي روجر، (1992م)، *الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري*، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

الأنصاري، أحمد، (1994م)، *نفحات النسرين والريحان*، تعليق: د. محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع.

بوزورث، كليفورد، (1995)، *الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي* (ترجمة: حسن علي اللبودي، ط2، مؤسسة الشراع العربي، الكويت).

ابن تغري بردي، (د.ت)، *النجوم الزاهرة*، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية.

التيجاني، (1981م)، *رحلة التجاني*، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

الجنحاني، الحبيب، (1968م)، *القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية*، تونس، الدار التونسية للنشر.

ابن حزم، (1982م)، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مصر، دار المعارف.

حسن، علي حسن، 1977م، الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه ، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 24 العدد 24.

ابن حماد، (د.ت)، *أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم*، تحقيق: د. التهامي نقرة وآخرون ، القاهرة، مصر، دار الصحوة للنشر والتوزيع.

حمادة، محمد ماهر، (1985م)، *الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والاتابكية والأيوبية*، ط2، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.

ابن خلدون، (1421/ 2000م)، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، راجعه: د. سهيل زكار، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن خلكان، (1977م)، *وفيات الأعيان*، تحقيق: د. إحسان عباس، لبنان، دار صادر.

الدباغ، (1978) معالم الإيمان (تحقيق: محمد ماضور، تونس – مصر، المكتبة العتيقة - مكتبة الخانجي، مصر.

الدشراوي، فرحات، (1994م)، *الخلافة الفاطمية بالمغرب*، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

رجب، عبد الفتاح، (2009)، *تاريخ برقة الإسلامي*، ليبيا، المركز الوطني للمحفوظات، ليبيا.
رمضان، ماجدة، (2013م)، العلاقات بين الخلافة الفاطمية في مصر والإمارة الزيرية في إفريقية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر.
سالم، السيد عبد العزيز، (1981م)، *المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية عمرانية وأثرية*، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، بيروت.
ـــــــــــ ، (د.ت) ، *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*، الأسكندرية، مصر، مؤسسة شباب الجامعة.
سرور، محمد جمال الدين، (1973م)، *سياسة الفاطميين الخارجية*، ط4، القاهرة، مصر، دار الفكر العربى، القاهرة.
ابن الصيرفي، (1923م)، *الإشارة لمن نال الوزارة*، تحقيق: عبد الله مخلص، بدون طبعة، القاهرة، مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي.
العبادي، أحمد مختار، (د.ت)، *فى التاريخ العباسي والفاطمي*، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
عبد الخالق، مصطفى محمد، (1981م)، هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، مصر.
عبد الرحمن، بثينة السيد، (1992م)، أثر قبيلة سليم السياسي والحضاري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
عثمان، نجوى، (2000م)، *مساجد القيروان*، دمشق، سوريا، دار عكرمة.
ابن عذاري، (1983م)، *البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق: كولان ليفي بروفنسال، ط3، بيروت، لبنان، دار الثقافة.
العربي، إسماعيل، (1404هـ/ 1984م)، *عواصم بني زيري ملوك (أشير- القلعة – بجاية – غرناطة – المهدية)*، ط1، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي.
العسقلاني، ابن حجر، (1998م)، *رفع الإصر*، تحقيق: د. علي محمد عمر، ط1، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي.
أبي الفدا، (د.ت)، *المختصر*، ط1، القاهرة، مصر، المطبعة الحسينية المصرية.
القرشي، (1984م)، *عيون الأخبار*، تحقيق: د.مصطفى غالب، ط2، بيروت، لبنان، دار الأندلس.
القلقشندي، (1378هـ/ 1958م)، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، تحقيق: علي الخاقاني، بغداد، العراق، مطبعة النجاح، بغداد.
ابن كثير، (1998م)، *البداية والنهاية*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، القاهرة، مصر، دار الهجر للنشر، القاهرة.
كحيلة، عبادة، (1997م)، المُغْرِب في تاريخ الأندلس والمَغْرب، ط1، حقوق النشر للمؤلف.
المسعودي، الباجي،(1434هـ / 2013م)، *الخلاصة النقية في أمراء إفريقية*، تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، ط1، القاهرة، مصر، دار الآفاق العربية.
ابن مقديش، (1988م)، *نزهة الأنظار*، تحقيق: علي الزواري وآخرون، ط1، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
المقريزي، (1996م)، اتعاظ الحنفا، تحقيق: د.جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

———— ، (2007م)، إغاثة الأمة، تحقيق: د.كرم حلمي فرحات، ط1، القاهرة، مصر، مركز عين للدراسات.
———— ، (1991م)، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، بيروت، لبنان، دار الغرب الاسلامى.
ابن الملقن، (1996م)، *نزهة النظار*، تحقيق: د.مديحة محمد الشرقاوي، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
النويري، (د.ت)، *نهاية الإرب في فنون الأدب*، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

BANI ZIRI IN IFRIQIYA AFTER THE DEPARTURE OF THE FATIMIDS BETWEEN SUBMISSION AND REBELLION (443 – 543A.H / 1052- 1148 A.D)

(Master)Degree –History Department
Faculty of Women for Arts, Science & Edu-Ain Shams University - Egypt
Shaimaatarek67@gmail.com

Prof. Safi Ali Mohammed
Professor of History and Islamic Civiliztion, History Department
Faculty of Women for Arts, Science & Edu
Ain Shams University - Egypt

Prof. Amal Mohammed Hassan
Professor of History and Islamic Civilization, History Department
Faculty of Women for Arts, Science & Edu
Ain Shams University - Egypt

Abstract

The study aims to identify the impact of the relation between the Fatimid Caliphate in Egypt and the fall of the Zirid State in Ifriqiya. The Relationship began between the Fatimids and the Zirids, when the Zirids supported the Fatimids in their wars against their enemies. As a result, when the Fatimid Caliph, Al-Mu'izz li-Din Allah, decided to move to Egypt, he appointed Buluggin ibn Ziri as Emir of the Maghreb. Buluggin ibn Ziri, succeeded, afterwards, in consolidating its rule in the Maghreb area. Desiring to prove his and his successors' allegiance to the Fatimid Caliphs in Egypt, he ordered prayers for the Fatimid Caliphs to be uttered in mosque pulpits, led wars in Maghreb under the caliphate flag, and sent gifts to the caliphs.

However, able to defeat their enemies, they aspired to be independent from the Fatimid Caliphate, which turned the relationship there-between to animosity. The Fatimids felt that the Ziries first taken steps towards independence provoked hostilities from enemy tribes. The Zirids were able to break away completely, as Prince Al-Muizz Ibn Badis announced their final independence from the Caliphate. The Caliphate responded to this separation by sending Arab tribes, which caused war and chaos in Ifriqiya, leading to the fall of the Zirid Emirate in the hands of the Normans in 543 A.H / 1148 A.D .

Keywords: Zirid Dynasty, Fatimids, Ifriqiya, Haidaran